# The color in Mahmoud Sami Al-Baroudi's poetry

Magda Hassan Habib Issa
Email: magdaalhmdny77@gmail.com
Ministry of Education / Directorate of Diyala Education

**DOI:** https://doi.org/10.31973/aj.v2i145.3885

## Abstract

This research aims to study the color in the poetry of the Arab poet Mahmoud Sami Al-baroudi, considering color as one of the elements of the artistic image taken from the poet's office as a model for this study.

These colors are white. Black، and red، and the use of other colors in his poetry، which are blue، green and yellow، as well as the multiple connotations that enriched the poetic text and revealed more psychological idea and artistic gifts in the poet's poetry in an attempt to reveal its artistic value and aesthetic significance.

In this research and study، we shed light on the importance of the role of colors to be an essential tool in revealing the axis of artistic beauty in the literary text.

**Keywords: (color, poetry, Al-baroudi).**

# اللون في شعر محمود سامي البارودي

**م.م. ماجدة حسن حبيب عيسى**
**ماجستير في اللغة العربية وآدابها/تخصص أدب**
**وزارة التربية/ مديرية تربية ديالى**

**(مُلَخَّصُ البَحث)**

يهدف هذا البحث الى دراسة اللون في شعر الشاعر العربي المصري (محمود سامي البارودي) باعتبار أن اللون من عناصر الصورة الفنية، متخذا من ديوان الشاعر انموذجا لهذه الدراسة، وقد قامت هذه الدراسة على استحضار أكثر الالوان كانت الأكثر توظيفا عند الشاعر دون غيرها من الألوان. وهذه الألوان (الأبيض، والأسود، والأحمر) وتوظيف غيرها من الألوان الاخرى في شعره وهي (الأزرق، والاخضر، والأصفر) فضلا عن الدلالات المتعددة التي أثرت النص الشعري، وكشفت المزيد من الإيحاءات النفسية والفكرية والفنية في شعر الشاعر في محاولة للكشف عن قيمتها الفنية ودلالاتها الجمالية.

وفي هذا البحث والدراسة سلطنا الضوء على أهمية دور الألوان لتكون أداة أساسية في الكشف عن محاور الجمال الفني في النص الأدبي، فاللون من أهم وأجمل ظواهر الطبيعة، ومن أهم العناصر التي تشكل الصورة الأدبية لما يشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية، والدينية، والنفسية، والاجتماعية، والرمزية، وغيرها.

**الكلمات المفتاحية:** (اللون، شعر، البارودي).

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين، أحمده حمدا دائما لا انقطاع له حمدا تدوم معه النعم، وتطرد به الهموم والغمم، وأسلم على سيد الأنام وخاتم الأخيار وعلى آله الأطهار وعلى أصحابه الميامين.

أما بعد ومما لا شك فيه، ويندر أن يحصل اختلاف فيه بين اثنين لدراسة ظاهرة من ظواهر الأدب العربي من أثر فاعل وتؤثر في إرشاد الحجا والنهى للتفكير الأدبي لخلق صور ذهنية فيها، وتقويم الذوق، على خلق ذائقة أدبية في صورها الجميلة.

والدراسة الأدبية لا تقوم ألا بالتطبيق على النصوص الحية من المأثور العربي من الشعر وغيره، ولعل أجمل وأرق الدراسات الأدبية ما تمثلت في اختيار شاعر من شعراء العربية وفي ظاهرة من ظواهر الشعر متمثلة باللون وتطبيق تلك الدراسة على شعر شاعر من شعراء العرب وتوظيفه لتلك الظاهرة في شعره.

وهذا الأمر جعلني أهتم بالشاعر البارودي ووقع اختياري عليه فهو شاعر من شعراء العرب في العصر الحديث وله شاعريته الفذة.

فكان بحثي يستند الى النصوص الشعرية في شعر البارودي وفي ديوانه الشعري، وكيف وظف اللون قي شعره، فقد قسمت بحثي على فصلين وكل فصل بمبحثين وكان منهجي في هذا البحث رصد لاستعمال اللون في شعر البارودي، ولست أزعم بأنني ألممت بكل جوانب الموضوع إلماما بحتا، فالموضوع متعدد الجوانب، وإن كان لي فضل فهو إني دخلته مع الداخلين بتوفيق الله.

فإن أكن وفقت في الذي أردت، فهذا توفيق الله وتيسيره، وإن تكن الأخرى فلا يكلف الله نفسا الا وسعها وبحسبي خلوص النية.

**الفصل الاول**

**المبحث الأول: في حياة الشاعر**

لا شك، ونحن ندرس ظاهرة اللون في شعر محمود سامي البارودي، أن نطل إطلالة عابرة، ونترجم لشيء من حياته وفقد عاصر الشاعر كل الظروف والمعاناة والملابسات التي احتواها ذلك العصر الذي عاش فيه الشاعر وفقد تبلورت ظروف قاسية، واتخذت أشكالا وأنماطا قلما نجدها في حياة شاعر عاش الظروف نفسها.

فقد ولد الشاعر بمصر في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥٥ هجرية (١٨٣٩ ميلادية)، لأبوين من الجراكسة، وكان أبوه (حسن حسني بك) (ديوان البارودي ص٦). وكان البارودي شديد الاعتداد بنسب أجداده في شعره وفي كل أعماله، فقد كان له أثر فيه وهو أثر قوي في جميع أدوار حياته، وفي المصير الذي انتهى غليه.

أما لقبه (البارودي) فنسبة الى بلدة (إيتاي البارود) إحدى بلاد مديرية البحيرة، وذلك أن أحد اجداده الأمير (مراد البارودي) كان ملتزما لها، وكان كل ملتزم بنسب في ذلك العهد إلى إلتزامه. ولقد صُرِم البارودي العطف الأبوي منذ نعومة أظفاره، فقد مات أبوه وهو في السابعة من عمره. فكفله بعض أهله وضموا إليهم.

أندفع الشاعر يقرأ الشعر العربي القديم، فتختزن ذاكرته القوية منه ما طاب لها ادّكاره، وقد وجد ضالته في هذا الشعر روعة وجمالا يأخذان باللب، ويحركان اللسان إلى القول والرغبة والتشفي من الشعر.

وتحركت نفس الشاعر لقول الشعر بعد أن توفّر على مطالعته، واستظهار موهبته، فقد ساعده ذلك بالاطلاع على شعر شعراء المجيدين الذين خلد الدهر شعرهم كابن المعتز والشريف الرضي، وابو فراس الحمداني، وأبو تمام، والمتنبي وغيرهم. وفي شعر البارودي ظاهرة لعله لم يفطن إليها أول الأمر أحد، فهو قد أعتمد في تصويره الواقع على حاسة النظر أكثر من اعتماده على سواها.

وكان للبيئة وللظروف التي عاشها الأثر الكبير في إبراز الحالة من الجانب التصويري من شاعريته. توفي الشاعر سنة (١٩٠٤ ميلادية) في السادس من شوال سنة (١٣٢٢ هجرية)، والذي لبّى داعي ربه تاركا لمصر وللعالم العربي هذا التراث الذي لا يبلى، ولا يعدو عليه الموت، ولا يجني عليه النسيان. وخلف البارودي ديوانا، ومختارات خالدة ماتزال إلى الآن تحفّ بنا في إبداعها وروعة أثره على مدى الدهر.

وظاهرة توظيف اللون في الشعر العربي ليست بجديدة، وإنما هناك من الشعراء من استعرض لهذه الظاهرة، والتشوق لها وما تتركه من دليل تختزنه في صورها الحسية واللفظية، فهذا ابن الرومي يصف دجاجة إذ يقول (ابن الرومي الشاعر الوجل ص٤٦):

وسمطية صفراء دينارية ثمنا ولونا زفها لك جزور

فهو يرى بشعره! رب دجاجة أبعد عنها ريشها فبدت صفراء، دليلا على ما كانت تختزنه تحت جلدها من دهن، يكاد يشمل لونها كما يبرق الدينار الذهبي.

ولكن ما اللون؟

اللون صفة الجسد من البياض والسواد والحمرة وغير ذلك فيقال لون أحمر، والجمع ألوان، وتلون فلان اختلفت أخلاقه، واللون جني من التمر، قال بعضهم: وأهل المدينة يسمون (النخل) كله الألوان ما خلا (البرنيّ)، (والعجوة) (المصباح المنير ص٣٣٣ كتاب اللام). ولوّن الشيء جعله ذا لون، واللون ما فصل بين الشيء وغيره، وهيئته من البياض والسواد والحمرة وغير ذلك، وتناول لونا من الطعام أي: نوعا منه (المنجد في اللغة ص٧٤).

وتشمل الفنون الجميلة عدة فنون مثل الأدب والرسم، والنحت، والغناء، والموسيقى، والرقص، والعمارة، وغيرها من الفنون الأخرى التي تعتمد على موهبة تتوفر لإنسان دون غيره. والفنون الجميلة تختلف تبعا للإرادة التي يستخدمها، فالأدب يعبر عن عواطف الإنسان ووجدانه بالكلمات، والرسم الألوان، والموسيقى بوساطة الأصوات، والرقص بوساطة الحركات. وغير ذلك من الفنون الأخرى (في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، ص ١٧). ويذكر ابن المعتز ما للشواء من إبداع وقدرة على تصوير المعاني التي عوّلوا فيها على معان سابعة، بما وجدوا لدى أبي نؤاس الذي عول على معان في الخمرة فتفرد بشعره بها، ولم يدع لأحد بعده ما يقوله في المعنى الذي أراده، فقد قال ابن المعتز:

الألوان الصحاح أربعة: الأحمر، والأصفر، والابيض، والأسود، اثنان منهما يغيرهما المزاج، واثنان لا يعمل فيهما المزاج، وأما ما يعمل فيهما المزاج، فالأحمر إن أكثرت مزاجه صار أصفرا. قال الحكمي فما ترك لإحد مقالا فيما ذهب إليه، وعوّل عليه من لطيف المعنى والابتعاد السرى في أبيات له (نقد الشعر لدى ابن المعتز ص١٩٧-١٩٨).

وحمراء قليل المزج صفراء بعده غدت بين نوْبي نرجس وشقائق

حكت حمرة المعشوق صرفا فسلطوا عليها مزاجا فاكتست لدنَ عاشق

**المبحث الثاني**

**اللون في الموروث القديم**

يرى أحد علماء النفس (أوتشام) إن تأثير اللون في الإنسان بعيد الغور، وقد أجريت تجارب متعددة بينت أن اللون في أقدامنا وأجسامنا، كما يؤثر في شخصية الرجل، وفي نظرته إلى الحياة، وهناك تجربة تمت في (لندن) على جسر (بلاك فيار) الذي يعرف بجسر الانتحار، لأن اغلب حوادث الإنتحار تتم فوقه. حيث تم تغيير لونه الأغبر القاتم إلى اللون الأخضر الجميل مما سبب في إنخفاض حوادث الانتحار بشكل ملحوظ (الألوان وسيلة لعلاج الامراض ص١٦).

إن علاقة الإنسان بالألوان ذاتية قديمة وأثر اللون بين وواضح في حياة الإنسان، لذلك فان العرب عرقت الالوان واهتمت بها، وعنيت بها عناية فائقة، وذلك على ألسنة شعرائها وخطبائها، حتى أصبح موضوع الألوان من الموضوعات التي تفرد لها أبواب ولاسيما في مصنفات اللغويين. فقد كان للألوان في المؤلفات التراثية صدى واضح وأثر كبير، ومن أقدم هذه الكتب كتاب (الخيل) الذي تحدث فيه ابن الأعرابي عن ألوان الخيل من الدهمة، والخضرة، والحياة والكتمة، والصفرة، والشقرة، والشهبة، وقد فصل القول حول كل منها (اللون ودلالته في شعر البحتري ص١١).

وكتاب (سر خليفة وصنعة الطبيعة) وهو كتاب مترجم من اليونانية وورد فيه حديث عن مفاهيم الألوان من الناحية العلمية وحيث يرى المؤلف: أن الألوان الاساسية هي البياض، والسواد والحمرة، والصفرة، والخضرة، كما يرى: أن اللون الأبيض والأسود هما أقدم الألوان قاطبة (المصدر السابق نفسه ص١٢).

كذلك كتاب (خلق الإنسان) لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت، حيث خصص فيه بابا للحديث عن ألوان الشعر من اسود، وأبيض وعرض للألوان لكل لون منها (المصدر السابق نفسه ص١٢). واستخدم القرآن الكريم اللون وسيلة للتعبير عن المعاني الكثيرة التي أشار إليها كما في الآية (١٠٧ آل عمران)، ففي هذه الآية (ابيضت وجوههم) كناية عن صلحت أعمالهم وظهرت أرواحهم وكذا في الآية الشريفة من سورة النمل (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) (النمل١٢). حيث استخدم هذا اللون دلالة واضحة وبيان لرسالة موسى (عليه السلام) لما أعطاه الله القدرة لإثبات نبوته.

أما في الشعر العربي فيعد اللون الأبيض من الألوان التي كثر حضوره، ما لجمال المرأة وجمال الرجل ورهافة السيوف والدروع في الشعر الجاهلي، وتدور في سياق الشرف والرفعة وكل معاني الخير، وتغنى كثيرا بذلك.

فإذا قالت العرب فلان أبيض فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب ومن ذلك قول زهير يمدح رجلا:

أشم أبيض فياض يفكك عن أبدى الفتاة وعن أعناقها الرقبا

وهذا كثير في شعرهم لا يريدون به بياض اللون، ولكنهم يريدون المدح بالكرم.

ولبيد قومه بلعب القمار يقول:

وبيض على النيران في كل شقوة سراة العشاء يزجرون المسابلا

فهو يرى أن ذلك من كمال الفتوة والكرم (الديوان ص٢٤٩)

كما جاء الأبيض في شعر طرفة بهذا المعنى:

أما الملوك فأنت اليوم الأمه لوما وأبيض سربال طباخ

تحسبهم بيض الولائد بينهم وأكسبة الأخريج فوق المشاجب

يصونون أجسادا قديما نعيمها بخالصة الأردان خضر المناكب

ومما يفهم من قول عمرو بن كلثوم في وصف نساء قومه بالعفة والشرف والكرامة قوله:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن نقم أو تهونا

فتغزل الشعراء الجاهليون بالمرأة البيضاء، وهم لا يريدون البياض الخالص، وإنما يريدون به من معاني الشرف والعفة.

**الفصل الثاني**

**المبحث الأول: اللون في شعر البارودي**

اللون من أهم وأجمل الظواهر الطبيعية، ومن أهم العناصر التي تشكل الصورة الفنية والحسية والأدبية لما يشتمل عليه من الكثير من الدلالات المعبرة الأسطورية والفنية، والدينية، والنفسية، والاجتماعية، والرمزية، وغيرها.

والمتتبع للشاعر محمود سامي البارودي يجد عناية الشاعر بالألوان، فالشاعر يولي اللون عناية خاصة، ويمنحه الدور الخاص في الصورة الفنية، لأن اللون في توظيفه في المستويات البنيوية والتعبيرية، والحسية التزينية والجمالية والرمزية للتصور الفني مما يؤدي الى استعماله للدلالة لشتى المعاني والصور في دلالاتها اللونية أو في دلالاتها الرمزية.

ويمكن دراسة اللون في شعر محمود سامي البارودي للظاهرة اللونية كظاهر استعملاتها بكلا اللونين او للدلالات أخرى على وفق ما يقتضيه الشاعر ويرسمه تبعا لخياله وسطوته في توظيفه اللون لسياقات دلالية معينة. ووظف شاعرنا دلالة اللون فيما يدل عليه مباشرا، كالأبيض والأسود، والأخضر وغير ذلك من الألوان. أو قد يوظفها مما يدل عليه غير مباشر كالليل والنهار والظلام والنور.

**أولا: دلالة اللون:**

**اللون الأبيض والأسود**

قال البارودي (الديوان ص٣٩٧)

أهيم بالبيض في الأغماد باسمة عن غرة النصر لا بالبيض في الكلل

لم تلهني عن طلاب المجد غانية في لذة الصحو ما يغني من الثمل

كم بين منتدب يدعو لمكرمة وبين معتكف يبكي على طلل

يهيم الشاعر بمعشوقته حبا مستخدما اللون الابيض هياما بشغف كبير وحب عظيم، ويربط هذا الحب بين معشوقتين وهما: الحسان الجميلات من النساء. الواحدة بيضاء وبين الأغماد وهو جفن السيف وغلافه وباسمة، لامعة مصقولة، وغرة النصر وطلته وهذا مستعار من طلة الفرس وهي بياض مستحسن في جبهته، والكلل جمع (كلة) بوزن (علة وعلل) وهي الستر الرقيق، وفي الكلل تصان الحسان المحجبات من النساء، والعربي يهيم بالفتاة المحجبة، لا السافرة، والبارودي يجنح لمحاكاة قدامى الشعراء. ويولع بالبيئة البدوية، فهو لا يفتأ يعرض في شعره الكثير من صورها وخصائصها. قال وهو في السجن:

(الديوان ص٣٥٢)

شـفني وجـدي وأبلانـي السـهر وتغشـتني سـمادير الكـدر

فسـواد الليـل مـا أن ينقضـي وبيـاض الصـبح مـا أن ينتظـر

هنا يربط الشاعر في التضاد اللوني بين (السواد والبياض) ومن خلال هذا التضاد تظهر معاناة الشاعر واضحة وجلية، حيث يخيم على نفسية الشاعر ومحنته وهو في السجن، فقد أهزله قلبه الضعيف وشغله الحرن، واصابته السمادير (جمع سمدور) وهو غشاوة العين وهنا كناية عن ما يعانيه الشاعر من ظلمته وهمومه، إذ لا ليل ونهار كأنما كان البياض هو السواد، ولا هدوء لروحه القلقة، فهذه الصورة تمثل معاناة جبل عليها الشاعر في سجنه وقدم لنا فيها البياض على أنه السواد وهو صورة عكست دلالة اللون وامتزاجهما مع بعضهما. وتتضح معاناة الشاعر مع ظلمته حينما نقرأ:

لا أنـيس يسـمع الشـكوى ولا ولا خبـر يـأتي ولا طيـف يمـر

بـين حيطـان وبـاب موصـد كلمـا حركـه السـجان صـر

كلمـا رت لأقصـى حاجـة قالـت الظلمـة مهـلا لا تـدر

أتقـرى الشـيء أبغيـه فـلا أجـد الشـيء ولا نفـسي تقـر

ظلمـة مـا أن بهـا مـن كوكـب غيـر أنفـاس ترامـى بالشـرر

فاصـبري يـا نفـس حتـى تظفـري إن حسـن الصـبر مفتـاح الظفـر

هـي أنفـاس تقضـى والفـتى حيثمـا كـان اسـير للقـدر

فالشاعر يعيش في معاناة بعيدا عن وطنه وأهله، في ذلك السجن المرعب في ما بين دوامة الالوان وظلامها (الأبيض والأسود) وامتزاجهما بلون واحد، أحال ذلك المكان إلى ظلام شديد، فلا أنيس، ولا طيف ولا صوت سوى صوت الباب لما يحركه السجان، فلا تهدأ روح الشاعر القلقة حينما يبحث عن شيء في سجنه، فلا يجد الشيء الذي يبحث عنه ولا تهدأ تلك الروح الا بحث الشاعر بصبرها وزرع روح الأمل فيها للخلاص من هذه المعاناة التي جلبها القدر والإنسان أسير لها.

ويأخذنا الشاعر في استخدام اللون الأبيض. حينما نراه يمضي الى المعاني التي تدل عليه. كما نرى ذلك في استخدامه لفظة (الحماليق) وهو ما غظته الأجفان من بياض مقلة العين، مع محمر الحماليق. وهو كلب الصيد، واحمرار حماليقه (كناية عن شدة بأسه، وعظم بطشه، ولا يألو (لا يقصر). وتنصّب الشيء( اتّضع) والمراد أنه لا يألم ولا يضعف ولا يتوقف. فهو شديد البأس. والقوة والعزيمة.

تـرى كـل محمـر الحمـاليق فـاغر الـــى الـــوحش لا يـــألو ولا ينتصـــب

الديوان (٥٨)

ومثلما نراه يأخذنا فيما يدل على اللون الأبيض من الفاظ، فهو يمضي على هذه الوتيرة مع اللون الاسود كذلك.

قال الشاعر: (الديوان ص٩٥)

لـــيس بـــين الجنـــون والحمـــق الا مثـــل مـــا بـــين ادهـــم وكميـــت

فهو يعود بمزج اللونين الأسود (الأدهم). وهو الاسود من الخيول، والأسود والاحمر (الكميت). فهو بربط بينهما ليستنبط معانيه وفق فلسفته الشعرية. ويريد: ان الحمق قريب من الجنون. كقرب الكمتة من الدهمة وهنا يشغل مزج الألوان على دلالات معنوية وفق فلسفة الشاعر. ومرة اخرى يعيدنا الشاعر سحر اللون الاسود. وجماليته، فهو يبتعد قليلا عن ظلمته ليسحبه ركن من أركان الجمال ومرة اخرى ليدل على معنى آخر. فهو يقول في مدح النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ( الديوان ص٩٩):

ياصـارم اللحـظ مـن أغـراك بـالمهج حتـــى فتكـــت بهـــا ظلمـــا بـــلا حـــرج

مـا زال يخـدع نفسـي وهـي لاهيـة حتـــى أصـــاب ســـواد القلـــب بالـــدعج

يريد بسواد القلب وسويداؤه: (حبتّه). الدعج: (شدة سواد العين مع سعتها. فلعبقرية الشاعر في استنباط المزج اللوني كفيلة بإظهار ما يريده من المعاني التي ترتسم في خياله، ولعمري فتلك خاطرة من خواطر الجمال في رسم معانيه وفق صور جميلة ومعبرة، ويميل الشاعر وفق ما يريده من المعاني في تجسيد دلالة اللونين (الابيض ، والاسود). فمرة يريد بالأسود الجمال والعذوبة، والرقة كما رأينا في أبياته التي يمدح بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ومرة يريد به شدة الظلام وقسوته ويقابله باللون الابيض (الوضوح والنور).

قال الشاعر: (الديوان ص٣٠٤)

هتكـــت بهـــا ســـتور الليـــل حتـــى خرجـــت مـــن الســـواد الـــى البيـــاض

يريد: مزقت ظلمات الليل. ويعبر عنه بـ (ستور الليل). ويريد بـ (السواد) ظلمة الليل. وبالبياض: ضوء النهار، فنراه يعبر عن السواد بالليل، وبالبياض بالنهار. مستخدما الطباق في توضيح معانيه. ونراه يعبر أحيانا عن اللون الابيض. بمعاني أخرى مثل (خيوط النور). ولا ينسى من يمزج هذه الصور، بالمقابلة مع اللون الاسود مرة اخرى.

قال الشاعر: (الديوان ص٣٠٩)

وقـد تخلـل خـيط النـور ظلمتـها كمـــا تخلـــل شـــعر اللمـــة الـــوخط

كانّهـا وصـديع الفجـر يصـدعها مـن جانـب أدهـم قـد مسـه نـبط

يريد بخيوط النور: بياض الصبح. والصداع الفجر، وهو مقارب للون النور في البياض.
والادهم: الفرس الاسود، والنبط: بياض في بطن الفرس.
فهو التضاد بين اللونين هو لتوضيح صوره الشعرية، مستخدما التشبيه بأداة التشبيه (الكاف) فهو يوضح بهذا التشبيه مخالطة (اللمة): ما جاور شحمة الأذن من شعر الرأس. ومخالطتها بـ (الوخط) وهو الشيب القليل، اذ دلالة البياض في صورته كلون الشيب وهو الوقار؟ وقد يمتزج اللون عنه بالمعاني التي تدل على اللونين (الاسود والابيض). كالنور والظلام، اذ يختلط هذين اللونين لقارب ما يروم من المعاني وتوضيحها.

يقول (المصدر السابق نفسه ص٣٠٩):

لـدنا بأطرافـه والطيـر عاكفـة عليـه والنـور بالظلمـاء مخـتلط

فهو يلوذ بأطرافه (نواحيه) أي: المربع، والواحد طرف، ولنضارته وغضارته تعكف عليه الطير فهو مقبلة ومقيمه بقربه. وقد بانت هذه النضارة من خلال التضاد بين النور والظلام (الأبيض والأسود) والشاعر يميل الى استعمال اللون الأبيض كصورة من صور التشبيه لإظهار ما يشعر به من مضمون صوره التي يجسدها كصفة من صفات ما يراه وما يحيط به من عالمه الذي يعشقه بكل حرفنة من فنان يرسم صورة بعناية فائقة فهو يقول (الديوان ص٣٣٢):

أصـبحت بعـدك فـي ديـاجير غربـة مـا للصـباح بليلهـا مـن مطلـع
لا يهتـدي فيهـا لرحلـي طـارق إلا بأنـه قلبـي المتوجـع
أرعى الكواكب في السماء كأن لي عنـد النجـوم رهينـة لـم تدفـع
زهـر تـألق بالقضـاء كأنهـا حبـب تـردد فـي غديـر متـرغ
وكأنهـا حـول المجـر حمـائم بـيض عكفـن علـى جوانـب مشـرع
وتـرى الثريـا فـي السمـاء كأنهـا حلقـات فـرط بالجمـان مرصـع
بيضـاء ناصـعة كبـيض نعـامة فـي جـوف أدحـي يـأرض بلقـع
وكأنهـا اكـرّ توقـد نورهـا (بالكهربـاء) فـي سـماوة مصـنع
والليـل مرهـوب الحميـة قـائم فـي مسـحه كالراهـب المتلفـع

فالمجر (المجرة) وهو البياض المعترض في السماء الناشئ عن اشعة نجوم كثيرة. يدور حولها حمائم بيض قد اقبلن عليه، وأقمن فيه.

ويشبه السماء بيض النعامة الناصع اللون، في جوفها التي تبيض فيه في رمال الصحراء الملساء التي هي قفر لا شيء فيها وهذه الصورة الجميلة للثريا الذي أضفى عليها الشاعر باختياره لوصفها باللون الابيض (بيضاء) صفة مشبه ثابته فيها.

قال البارودي في امتزاج اللونين الابيض والاسمر في دلالتهما فيما لا يدل عليه صفة اللون مباشرا (الديوان ص٤٣١). فهو يقول:

وأنا رجال تعرق الحرب أننا بنوها ويدري المجد ما نحاول

إذا ما ابتنى الناس الحصون فما لنا سوى البيض والسمر اللدان معاقل

فما للهوى يقوى علي بحكمه ألم يدر أني الشمري الحاجل

وإني لثبت الجأش مستحصد القوى إذا أخذت أيدي الكماة الأفاكل

يريد بالبيض (السيوف) ومفردها (ابيض) والسمر(الرماح). وهي جمع (الاسمر). وهو الرمح يسمر لونه إذا صلب. واللدان: (اللينة المرنة في صلابة وقوة. واحدها (لدن) بوزن (سهل)، والإدانة أو اللدونة من الصفات المستحسنة في الرماح. ومن امارات جودتها. والمعاقل: (الحصون والقلاع والملاجئ، وهي جمع (معقل). فهو الشجاعة والقوة والبسالة والعزيمة التي لا تلين، ولا يثنيها أحد عن هدفها. ونيل مرادها لا الحصون ولا القلاع.

وكذا على فق قوله (الديوان ص٤٠٧):

قوم اقروا عماد الحق وامتلكوا ازمة الخلق من حاف ومنتتتعل

جنوا ثمار العلا بالبيض واقتطفوا من بين شوك الغوالي زهرة الأمل

فأصبحت مصر تزهو بعد كدرتها في يانع من اساكيب الندى خضل

وهنا يريد بالبيض (السيوف). فهو يقول لمن يحاول تحمسهم وتحريضهم من مواطنيه. من أسلافهم بلغوا المعالي. وحققوا الآمال بالجلاد والكفاح. وقوة السلاح، فأصبح مصر زاهية كالبياض بعد سواد ما حل بها من كدر ممطرة خضلة، شديد الحمرة يميل الى السواد مطرها.

وهو يشير بهذا الى دماء القتلى والجرحى من ابطال مصر و أعدائهم في الحروب الكثيرة التي خاضها المصريون في الأزمنة السابقة لإقرار الحق، وكسب النصر. وبناء المجد. وتوسيع السلطان. وتحقيق الآمال. ويشير بالزهو إلى صفاء الخال بالعزة والغلبة. واستباب الامن والنظام. ويشير بالكدرة الى ما كانت تعانيه مصر قبل هذه الحرب من الضيم والغدر، والخذلان. واضطراب الأمر. وفساد الحكم والسلطة، وهذا ما كان عليه وما عرف به أجدادكم من أضرار عزيمة لا تلين فالمجد حصل بقوة السيف ومقارعة الظلم والعزيمة التي

لا تلين. وقد يكون اللون الأبيض(البيض) صفة من صفات النساء كما في قوله (الديوان ص٢٢٨): فهو يقول:

من البيض ميسان العشيات غادة سليمة ما نحوي المعاقد والازر

إذا سفرت والبدر ليلة تمه ولاحا سواء قيل ايهما البدر

يريد من النساء البيض (ميسان) اي: من مست المرأة. أي تبخرت واختالت وتجملت والغادة: الفتاة الناعمة اللينة المنتشية، وهي صفة من الغيد .والمعاقد: جمع معقد. اسم مكان من عقد الزار ونحوه أي شدته وربطه بإحكام. والأزر: جمع: إزار وهو الملحفة وما بستر الإنسان من الثياب والملابس. ثم يقول:

لها لفتة الخشف الأغن ونظرة تقصر عن أمثالها الفتكة البكر

ترد النفوس السالمات سقيمة وتفعل ما لا تفعل البيض والسمر

فهذه المرأة لها لفتة الظبي اي الغزال إذا قوي واشتد واستطاع المشي. فهي أغن يخرج من صوتها ومن خياشيمه مرخما وهي فتكة بكر لا تنثني، ولها سحر يجعل كل سليمة مريضة اي من سقم الهوى والغرام. وهذا السحر الذي تمتلكه ليس له مثيل ويفعل ما يفعل بعاشقه ما لا تفعله السيوف والرماح. وهنا يشير الى دلالة اللون وامتزاجهما الى دلالات غير مباشرة عرفت بها. فالشاعر من خلال الوصف الأخاذ يرمي الى إيصال صوره الفنية. بكل ما ملك من خيال وتوظيف اللون الأبيض بدلالته كلون. أو بدلالة المعاني الاخرى المعروفة عند العرب. فيلجأ إلى ذلك من خلال المقارنة بين السيوف والرماح من جهة وبين سقم الهوى والعشق من جهة أخرى. لإظهار معانيه وتوضيح ما جسده خياله من أفكار غير مملة ولا رتيبة.

**المبحث الثاني: الألوان الأخرى**

**١. اللون الأحمر**

قال الشاعر (الديوان ص٢٧٧):

جدير اذا ماهم أن يكسر القنا وبيض الظبا ثوبا من الدم أحمرا

وما كل من ساس الأعنة فارسا ولا كل مناش الأسنة قسورا

يميل الشاعر الى المزج اللوني بين الأبيض والأحمر. فهو يشير إلى الرماح والبيض (السيوف). وهو من صفات السيوف. والظبا وهو حد السيف ونحوه. جمع (ظبة). كأنها ثياب تكسوه الدم وقد اصطبغت باللون الأحمر الذي أحال كل بياضها الى أحمر قاتم. فالشاعر يعبر عن الأشياء بما عرفت واكتسبت اللون، فالسيف هو البيض وهو ملازم له.

والدم هو الأحمر وهو ملازم له. وتظهر الصور بينهما حينما يلتقيان في الحرب. إذ يتحول الثوب السيف الى الحمر من الدماء. وهي صورة رسمت ذلك بحرفنة متميزة. تعيد إلى الأذهان صورة السيف في غمده. وهو يصبح ثوبا من الدم الاحمر. فالشاعر يمنح الأشياء بمسمياتها. ويقول:

وإني امرو تأتي لي الضيم صولة مواقعها في كل معترك حمر

ابيّ على الجدثان لا يستفزني عظيم ولا يأوي الى ساحتي ذعر

تأبى صولة الشاعر، وتكره له أن يضام. أي تدفع عته الضيم وترده. وتسبغ عليه العزة والمنعة. والضيم، والظلم. والصولة: السطوة، واليأس. والمعترك: موضع الاعتراك، وهو القتال في ميادين الحرب. والوغى. فيكون للون الأحمر وقع فيها وهو لون الدماء التي تنساب من أجساد الأعداء فترمي بثقل صبغتها على السيوف. فهو شديد على الأعداء، جلد، ممتنع، والحدثان: صروف الدهر ونوائبه، فلا يستخف الشاعر، ولا يفزعه في كل (ساحة) أي: ناحية، وقضاء بين دور الحي، الموضع المتسع أمام الدار فلا يخاف، ولا يفزع، لأن من تقلد السيف لا يستقر الفزع في قلبه، فلا يحمل السيف الا قلب شجاع متمرس على الضيم والقسوة والقتال، فهو يستحضر الشجاعة والبسالة. ويصف (الخمر) لهم بأنها حمراء مقفرة. مصورة الحباب فلكاً تحف الاجرام سمائه. وإن العين لما تنظر اليها لا يستقيم لمعانها. وتزل الأقدام عند اللقاء بها. فهو يقول (الديوان ص٥٣٤):

حمراء دار بها الحباب فصورت فلكا تحف سماءه الأجرام

لا تستقيم العين في لمعانها وتزل عند لقائها الأجرام

فصور باللون الاحمر (الخمر) هذه وما فيها لتوضيح صوره الفنية، لما في هذا اللون استطارة تملأ المكان الذي فيه. فكانت الصورة معبرة عن خيال الشاعر وما يريده من أفكار، معتمدا على اللون في توضيح ذلك. أي: ان الخمر لشدة لمعانها، وفرط تلألئها – يضطرب نظر الناظر اليها. ولا تثبت العين عند رؤيتها، وإذا تحساها شاربها أسكرته، وزلت قدماه.

**٢. اللون الاصفر**

قال الشاعر (الديوان ص٦٢٠):

صفر الوجوه من الأحقاد تحسبهم وهم أصحاء في درع من السقم

فلا ذمامة في قول ولا عمل ولا أمانة في عهد ولا قسم

يريد الشاعر: بـ (صفر الوجوه) كناية عن الحقد. فقد أضمر لهم الاعداء العداوة والحقد، لان الحقد الذي يحملونه في قلوبهم عميق عمق البحر. وتظنهم اصحاء في ثياب من

المرض حق لهم في قول ولا عمل. ولا حياء ولا خجل. ولا أمانة ولا عهد عرفوا به وحافظوا عليه.

**٣. اللون الأخضر**

ومثلما وصف الخمر معتمدا على اللون الاحمر. يصفها تلك الخمرة معتمدا هذه المرة في توضيح أفكاره على اللون الاصفر. فرب ليل له سقي فيها خمرة باردة (مشمولة). وذلك إذا عرضت على ريح صفراء وهي ريح الشمال (فالصفراء) كناية عن الريح الصفراء بردت وكأنها كنبات الورس (وهو نبت أصفر) وهنا يعيد اللون الذي عرف به هذا النبات ليمنح به تشبيها جميلا عن الريح الصفراء الباردة وما تفعله في خمرتها التي سقي بها في تلك الليلة الباردة. فهو يقول (الديوان ص٢٨٨):

يـــارب ليـــل بـــت اســـقى بـــه مشـــــمولة صـــــفراء كـــــالورس

كأنهـــا فـــي كأســـها شـــعلة مقبوســـة مـــن كوكـــب الشـــمس

فهي شعلة (مقبوسة) مأخوذة من كوكب الشمس.

فتبعـــت مســـراها علـــى عجـــل حتـــى ظفـــرت بنظـــرة خلـــس

فســـترنها عنـــب وســـرن بهـــا فـــي روضـــة فيانـــة الغـــرس

وهنا تمثل اللون هذه المرة بالأخضر من خلال (الروضة) فهي أرض خضراء. أو بستان. أو الموضع الذي يجتمع إليه الماء. وهذه الارض الخضراء فيانه: (طويلة حسنة كثيرة الأفنان والغصون. وأراد بالغرس أي: (الشجر الذي يغرس). والملاحظ على الشاعر أن أفكاره وصوره الشعرية الفنية يستخلصها من متعدد (الأرض والليل والغرس وفيانة ورس) لإظهارها كما يريد ان يوصلها للقارئ. مع إضفاء سمة اللون ومساحته وما عرف من لون النماء جاءت الصورة مكتملة فنيا وفي قالب فني من التشبيهات والتعدد من الألفاظ ما يوحي أن الشاعر متمكن من ذلك اللون وما يريد به.

فوقفـــت مطويـــا علـــى كمـــد ومضـــت علـــى أوتارهـــا نفســـي

تلـــك التـــي لـــولا هـــواي بهـــا مـــا بـــت مـــن أمـــل علـــى يـــأس

هيهـــات أنســـى حســـن صـــورها وحـــوادث الأيـــام قـــد تنســـي

فهو في حزن شديد وعميق مع تجربته بحيث يمضي في آثارها وينبها. ولا يمكن لحوادث الأيام أن تنسيه حسن صورها وبهاء طلعتها. فهو يعيش الامل على أعتاب اليأس من عشقه لها وهواها بها يسعده.

وقدة ماجت الأغصان بين يد الصبا كما رفرفت طير على اجنحة خضر

كـأن الثريـا فـوق الشـقيق مـدامع تجـول بخـد او جمـان علـى تبـر

للون الأخضر من ريح الصبا وهي ريح تهب على العرب من جهة الشرق وتوسف بلطفها ورقتها. وتأثرها الخلاب. فكأنها طير يرفرف بأجنحته خضراء. وتترك على شقائق النعمان دموعها وهي في أصلها (المآقي) أي: أطراف العين اذ تسيل الدموع. والجمان: حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ. والواحدة منه جمانة. والتبر: ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ.

وما أجمل مغازلة هذه الريح للمعة ذهبية (اللون الأصفر) وطغيانه فيه. فهي تبرق كالجمر (اللون الأحمر) وهنا تابع الألوان بدلالة الفاظ اخرى. كان له الأثر الكبير في اظهار صور الشاعر مع تشبيهاته الجميلة التي أضافت لأفكاره حركة حسية لونية براقة. وقد أعتمد في ذلك على هذه الألوان ودلالاتها المعروفة. وكأنه فنان يرسم لوحاتها بأدق التفاصيل وأعذب الالوان وان اقتصرت على ألوان محددة وهذا فنان بارع يحمل أدواته في يديه أنى شاء.

كـأن صـحائف النـور والظـل جامـد مباسـم اصـداف تبسـمن عـن در

وقـد شـاقني والصـبح فـي خـدر امـه حنـين حمامـات تجـاوبن فـي وكـر

هـتفن فـأطربن القلـوب كأنمـا تعلمـن الحـان الصـيابة مـن شـعري

وقـام علـى الجـدران أعـرف لـم يـزل يبـدد أحـلام النيـام ولا يـدري

فالنور والصبح دلالات لونية على البياض وسحره الجذاب. وهذا ما أوضحه الشاعر من خلال التشبيهات. فقد هيجه ذلك الشوق. والخدر: الستر. والوكر: عش الطائر فقد كان في جبل أو شجر فقد سجعت الحمامة بأعذب الألحان. بعد أن تضبطها في وزنها وترسلها عذبة. والصبابة: شدة الشوق او رقته أو حرارته. أو رقة الهوى.

**٤. اللون الأزرق**

مما يرد بدلالة اللون بلفظه، ما يدل بلفظ معين يعرف به وهذا ما دأب عليه الشاعر في استعمال الألفاظ وصفاتها اللونية مما يدل على الألوان، فهو يقول (الديون ص٣٨٣):

اقـام علـى رغـم الفنـاء وكـل مـا تـراه علـى وجـه البسـيطة ينفـق

فكـم ثـلّ عرشـا واسـتباح قبيلـة وفـرق جمعـا وهـو لا يتـفرق

نخسّـى مـرارات الكبـود فلـم تـزل بـه صـيغة اللـون مـن لونهـا فهـو أزرق

نهـار وليـل يـدأبان وأنجـم تغيـب الـى ميقاتهـا ثـم تشـرق

تــرفّ كزهــر طوحتــه عواصــف يلجّــة مــاء فهــو يطفــو ويـــــغرق

يريد بتحست الشراب: شربته في مهلة وتؤدة، والمراد: بمرارات الكبود: دماؤها الوريدية المائلة إلى الزرقة، وهكذا هي في ضياء و تلألؤ.

ثانيا: الدلالة اللفظية بدلالة اللون:

قال الشاعر (الديوان ص٢٥١):

يــارب بيضــاء مــن الجــواري جــاءت بطفــل اســود كالقــار

أخرجــه مــن لجــة الأنــوار مــن أخــرج الليــل مــن النهــار

سبحانه من فاعل مختار

يريد بـ (القار) شيء اسود تطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل، او هو الزفت، وهو بمعروف بلونه الأسود، فالشاعر استعمال هذا اللفظ بما يدخل عليه من لونه، لشدة وقعه على النظر. ومن استعمالاته للجمر في دلالته على اللون الأحمر في توهجه فهو يقول (الديوان ص٢٠١):

أيّ امــرىء يقــوى علــى رد لوعــة غذغ التهبت أربت على وهج الجمر

أربت: زادت، والوهج: اسم من وهجت النار تهج وهجا ووهجانا أي: اتقدت فهي تتلون باللون الأحمر.

**الخاتمة**

ومما لا شك فيه يستطيع الدارس لدلالات اللون في شعر محمود سامي البارودي الوصول الى نتائج وتوصيات عدة أبرزها:

١. اهتم محمود سامي البارودي بظاهرة الألوان اهتماما واضحا، كثر في ديوانه بصورة جلية كغيره من الشعراء في هذا المجال.
٢. كثرت الدلالات اللونية لكل لون على حدة، مع امتزاج الالوان مع بعضها في كثر من الحالات، حسب وردوه في الفن الشعري وصوره، فعلى سبيل المثال: أشار الشاعر باللون الأبيض مرة الى النساء الحسان في العفة والطهارة والشرف، ومرة أخرى الى السيف كعادة الشعراء العرب من – خلال حقول متعددة مختلفة – عبر بها الشاعر حسب فكرته التي أراد أن يوصلها.
٣. دار الحديث في شعر محمود سامي البارودي حول ثلاثة ألوان (الابيض والاسود والاحمر) وعلى المزج بين هذه الالوان لإظهار معانيه وصوره حسب مقتضى الحال لما يشعر به الشاعر، مع عدم غفلة لألوان اخرى في شعره (كالأصفر والاخضر والازرق) لما فيها من دلالات وظفها الشاعر وفق نظرته ونظرة من سبقه من الشعراء.

٤. مما يسترعي النظر من خلال البحث في هذه الناحية – في شعر محمود سامي البارودي – وجود عدد لا بأس به من الألوان في شعره استعملها من التشخيص الصوري، مما أسهم في إبراز الصورة اللونية التي هي جزء من الصورة الفنية.

٥. إن أغلب المعاني التي تحدث فيها عن اللون (الأبيض والأسود والأحمر وغيرها من الألوان) من خلال عرضه لها لم تخرج عن إطار الاستخدام الصوري لها عن شعراء من سبقه من العرب من خلال عرضه لبعض الألوان معان ملتزمة، لا يند بها الشاعر عن الاصول الاسلامية تدخل ضمن ما يسمى بالأدب الإسلامي، الذي هو في أبسط تعريفه: (تعبير فن جميل نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون،على وفق الاسس العقائدية المتمثلة بالعفة والطهارة والشرف.ويمكن القول حسب ما تبين لي: إن دلالة الألوان في شعر اي شاعر (تتيح للنص الشعري جملة من الإيحاءات والرموز. إذ تتعدى دلالة اللون نطاقها الوضعي الى ما هو أعم، فقد تتسع دائرة إيحاء اللون للتفسير والتأويل بتضمنها معاني ورؤى أعم من المعنى الوضعي (عيار الشعر– ابن طبا طبا – ص٥٣).

**المصادر والمراجع**

**القرآن الكريم**


١. ابن الرومي –شاعر الوجل (السلسلة الأدبية/٣) – عبد الغني خماس – مطبعة عصام – بغداد – ١٩٨٦م.

٢. عيار الشعر (ابن طباطبا) شرح وتحقيق – عباس عبد الساتر.

٣. الألوان وسيلة فعالة لعلاج الأمراض وتغيير الحالة النفسية احمد يحيى – موقع منتديات ، طاهر محمد هزاع.

٤. ديوان البارودي – البارودي محمود سامي باشا – (١–٤) ، دار العودة –بيروت –حققه وضبطه وشرحه( علي الجارم ، ومحمد شفيق معروف).

٥. في النقد العربي الحديث – منطلقات وتطبيقات – (د. فائق مصطفى ، ود. عبد الرضا علي) – دار الكتب للطباعة و والنشر – الموصل– ٢٠٠٠م ، الطبعة الثانية منقحة ومزيدة.

٦. اللون ودلالته في شعر البحتري – رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها – نصرت محمد شحادة.

٧. المصباح المنير (تأليف العالم العلامة الفيومي المقرئ أحمد بن محمد بن علي) – دار الحديث – القاهرة –٢٠٠٣م.

٨. المنجد في اللغة – دار الفكر – الطبعة الأولى –١٩٩٦.

٩. نقد الشعر لدى ابن المعتز – د.فائز طه عمر – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – الطبعة الأولى –٢٠٠٩م.